28/12/2020

أقدم أيقونة ميلاديّة.



تعود هذه الأيقونة الميلاديّ إلى القرن السابع ميلادي. وهي محفوظة في دير القدّيسة كاترينا في سيناء الذي يضم مجموعات أيقونات كبيرة جداً ومتنوعة وقديمة، تفوق الألفين و٧٠٠ أيقونة. تقريباً.

تتميّز هذه الأيقونة بفنّها الشعبي الذي كان سائداً في ذلك العصر، وبألوانها الزاهية والدافئة والفرحة جداً.

تجمع هذه الأيقونة القديمة الأحداث الميلاديّة كما نراها اليوم في الأيقونات الميلاديّة. النجم، والملائكة، وولادة الإله، والرب يسوع المسيح الطفل الإلهيّ المولود، والحيوانان، وصالومة وامرأة أخرى، والرعاة، ويوسف خطيب مريم.

صحيح أن هناك أسلوباً فنّياً لكل كاتب أيقونة، وأسلوبه هذا يميّزه عن غيره إلاّ أن المشاهد في الأيقونة تبقى ذاتها لارتباطها بالكتاب المقدّس وحقيقة الأحداث التي حصلت، وهذا محفوظ في الذاكرة الحيّة في الكنيسة عند المؤمنين، إذ نحن نرتّل ونصلّي في الليتورجيا ما نقرأه في الإنجيل وما نكتبه من أيقونات مقدّسة.

سنبدأ بالشرح من الأعلى إلى الأسفل:

– الملائكة:

عددهم أربعة، وهي إشارة إلى تبشير كل المسكونة من جهاتها الأربع، كما يوجد حركية رائعة في وضعيتهم وذلك من خلال وقفتهم وتعابير وجوههم.

ثلاثة منهم يسبّحون ويرفعون أيديهم إلى العلى من حيث أتى إلينا المخلّص، والرابع منحنٍ نحو الأرض يبشّر الرعاة كما أتى في إنجيل لوقا. (لوقا ٢:٧-١٥). ألوان ملابسهم تترجم أيضاً فرح الحدث.

– والدة الإله:

هي مستلقية على رداء – أموفوريون – رمزي اللون على شكل حبّة القمح. وكيف لا وهي أم معطي الحياة والخبز السماوي النازل من فوق الذي هو يسوع كما قال يهوذا: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا.» (يوحنا ٦:٣٥).

ألوان ثيابها أيضاً فرحة، وهي تنظر إلى المولود الإلهيّ بوجه كبيرة وتلامسه بيدها اليمنى.

يوجد خلف رأسها هالة القداسة، ونجمة على رأسها.

– الطفل يسوع:

هو ملفوف بالأقمطة كما أتى أيضاً في إنجيل لوقا. "وَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ." (لوقا ٢:٧).

هالة المجد خلف رأسه ذات لون ذهبي للدلالة على أنّه الخالق الذي لا موجود خارج الخلق. خلف رأسه هالة القداسة يتوسّطها صليب إشارة إلى أنّه صلب لخلاص الجنس البشري.

– الحيوانان:

وجود الحيوانين دلالة إلى أنّه ولد في مغارة في مزود البهائم، وأيضاً إشارة لما قاله إشعياء النبي: "اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ، شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ." (إشعياء ١:٣). ونذكر أن لدى إشعياء نبوءات كثيرة عن والدة

المسيح وصلبه وقيامته ومجيئه الثاني.

– المغارة:

المغارة سوداء عالمة الخطيئة والموت الذين زال بوالدة المخلّص، إذ نجم
تضيء السواد لأنّ النور أتى وأضاء العالم: “ثُمّ كَلّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً: «أَنَا هُوَ
نُورُ الْحَيَاةِ.» مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْعَالَمِ.” ... (يو
١٢:٨).

– المجوس:

نشاهد ثلاثة مجوس يقدّمون الهدايا. على رؤوسهم قبّعات الملوك على شكل تاج.
الأوّل مسن والثاني متوسّط العمر والثالث شاب دلالة على أن كل الأجيال أتت
وسجدت للطفل الإلهيّ الرب يسوع المسيح.

– الراعي والمرأتان:

في الأسفل (زاوية الأيقونة اليسرى) يشير بيده اليمنى إلى الطفل بين
المرأتين. واحدة منهما تدعى صالومة.
إنّ غسل المولود إشارة إلى الولادة بالجسد. “وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلّ بَيْنَنَا،
وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً.” (يو ١٤:١).
الراعي في الخلف يعزف على الناي وسط الطبيعة المزدهرة إشارة للسلام الذي حل.

– يوسف خطيب مريم:

في الزاوية المقابلة يجلس يوسف البار خطيب مريم حائراً ومفتكراً بالحبل
الإلهيّ. خلف رأسه هالة القداسة وتحيط به نجوم ويحمل عصا الرعاية. وهي يسمع من
الرب ويطيعه ويقوم بكل ما يطلبه منه. وهو المربّي الأمين والمصغي لكلمة الرب.
أمامه أحصنة المجوس الثلاثة.
أهميّة هذه الأيقونة بقدمها وعناصرها. إنّها أيقونة جميلة جداً وفرحة للغاية.
والأيقونات منذ البداية هي من صلب إيمانناالمسيحيّ.
المجد لك يا رب المجد لك.

facebook.com/Antiochpatriarchate.org